

آشي في عالمين (ترجمة وتحليل)

Ishi in Two World

فجر جودة النعيمي. جامعة بغداد. العراق، *Fajir1954@gmail.com

تاريخ النشر: 2020/06/27

تاريخ القبول: 2020/06/27

تاريخ الإرسال: 2020/06/02

ملخص:

(هذه المقالة ترجمة لسيرة ذاتية لآخر هندي أحمر في أمريكا، قدمها عالم الأنثروبولوجيا الأمريكي كروبر، اتبعت الترجمة بتحليل لطريقة البحث المستخدمة في الدراسات الأنثروبولوجية، وأخذت في الاعتبار القيم الأخلاقية في البحث العلمي، ولفتت الانتباه إلى أهمية السيرة الذاتية في البحوث الأنثروبولوجية التي اغفلناها في دراساتها الحديثة)

الكلمات المفتاحية: دراسة الحالة، السيرة الذاتية، المنهج الأنثروبولوجي

Abstract:

This is a translation of an article about the last red Indian man in his world. It was a biography of the man forwarded by the American Anthropologist A L Kroeber the article followed by analysis of the case and the anthropological method of data collection. The analysis takes into consideration the ethical values in socio-anthropological research and draws attention to on of the most important method of data collection in anthropological researches

Keywords: Case study, Biography, Anthropological method

تقديم

في 29 أغسطس 1911 في كاليفورنيا، وجد رجل هندي متوسط العمر يرتعش خلف سياج زريبة، ولأنه كان يثير الشبهات، اتصل الناس بالشريف، وعندما وصل الشريف الى المكان، لاحظ ان الرجل البري the wild man يوشك ان يموت جوعا، وكان يعاني من التعب والإرهاق والخوف، لم يكن الشريف قادرا على التواصل معه لغويا، لذلك اخذه على الفور ووضعه خلف القضبان لكي يحميه من المتطفلين curiosity seekers . بلا شك كان آشي (وهذا هو الاسم الذي اعطي له فيما بعد) يتوقع انه سيقتل بعد ان وقع أسيرا في يد عدوه الرجل الأبيض. وانتشر خبره في المدينة بسرعة، فهرع اليه بعد نصف ساعة من القبض عليه الانثروبولوجي T. T Waterman. وتم له التفاهم معه بطريقة بدائية عن طريق بضع كلمات كان ووترمان قد تعلمها من لغة شعب اليانا Yana people التي ينحدر منها آشي، كما فهم ذلك من كلام آشي نفسه. بفضل الانثروبولوجيين حصلت جامعة كاليفورنيا على إذن من مكتب الهنود الحمر في واشنطن للاحتفاظ ب آشي في المتحف الانثروبولوجي للجامعة في سان فرانسيسكو، الذي صار بيته منذ ذلك الحين حتى وفاته بعد اربع سنوات ونصف. آشي كان اخر هندي بري في أمريكا الشمالية last wild Indian in North American واخر من تبقى من قبيلة Yahí المفقودة، وهي جماعة فرعية من شعب اليانا Yana حيث كان أسلافهم يعيشون في شمال كاليفورنيا.

لقد كان قدوم الرجل الأبيض قد جلب معه الموت لهنود كاليفورنيا؛ ففي سنة واحدة عام 1864 كان قد قتل معظم الألفين او الثلاثة الاف من شعب اليانا Yana، عدا سكان الياهي Yahí في مجزرة مروعة على يد المستوطنين البيض، وفي عام 1865 عندما كان آشي مايزال طفلا صغيرا بدأت إبادة قبيلة ياهي، وبحلول عام 1870 لم يبق على قيد الحياة من هذا الشعب سوى افراد بعدد أصابع اليد، ولكي يحافظوا على بقائهم وهويتهم كبشر عملوا على اخفاء انفسهم، لم يرههم احد من الغرباء ابدا، لقد اخفوا انفسهم بين الاحراش والاخاديد وتجنبوا كل أنواع المواجهة، ولكن صراهم من اجل البقاء كان محكوما عليه بالفشل، ففي نهاية القرن 1900 كان خمسة افراد من الياهي فقط هم الذين بقوا على قيد الحياة من بينهم آشي وامه واخته، وأخيرا لم يبق منهم غير آشي وامه، وبعد ان ماتت امه بقي وحيدا من دون رفيق من البشر بقي وحيدا بين الاخاديد من نوفمبر 1908 الى اليوم الاخير من شهر اوكست 1911 وهو يوم القبض عليه.

الاسم المجهول The unspoken name

في صباح اليوم التالي لوصول أشي الى المتحف التقاه بروفيسور كروبر Kroeber ، وعقدت بينهما صداقة منذ اللقاء الاول، في نفس الصباح وصل عدد من الصحفيين وطلبوا التعرف على اسم الرجل الهندي، قال لهم كروبر ان التعرف على اسمه في هذه الظروف ليس أخلاقيا وغير ذي جدوى futile، وعندما اصروا تدخل رجل "متحضر" من شعب اليانا كان يعمل مترجما مع الانثروبولوجيين وحاول إقناع الرجل الهندي بالإعلان عن اسمه، كان تدخلنا أرعنا من المترجم، اذ ان الرجل الهندي حفظ ماء وجه اخوته من شعب اليانا، بقوله انه عاش زمنا طويلا وحيدا ولم يعطه احد اسما. قصة مهذبة طبعاً، ذلك لان هنود كاليفورنيا لا يفصحون عن أسمائهم ابدا ولا يستعملونها الا مع عدد قليل ممن يثقون بهم، ومن غير المتوقع ان يفصح أحدهم عن اسمه كاستجابة لسؤال مباشر. الصحفيون أدركوا انه يلف ويدور، وكروبر شعر بحرج اكثر من صديقه الذي لا اسم له، والذي بقي رابط الجأش ويبدو عليه



A L Kroeber and Ishi 1911

Ishi 1911

انه لا يفهم شيئا مما يدور حوله، عندها تدخل كروبر وقال: حسنا سنسميه أشي Ishi ، شعر كروبر بالالاسى لأنه لم يعطه اسما مميزا، ولكنه ليس اسما غريبا، انه يعني "رجل" في ثقافة اليانا Yana ، لهذا فانه كان اخر رجل من قبيلة الياهي Yahy يطلق عليه اسم رجل Ishi ، ثم صار اسمه أشي من تلك اللحظة حتى وفاته، اذ انه لم يفصح عن اسمه الاصلي الذي كان يعرف به في ياهي Yahy ابدا، لقد دفن اسمه القديم مع جنازة اخر من كان يحب. قيل اسمه الجديد وكان يذكره مضطرا عندما

يسؤل، ولكنه ذات مرة ذكر اسمه الحقيقي همسا بينه وبين نفسه كما يفعل الانسان أحيانا عندما يخلو لنفسه، ولكنه لم يأت على ذكره مرة أخرى ابدا.

يقول كروبر، الانطباع الاول عن آشي انه كان دمث الاخلاق، وان شعوره بالتهديد والخوف كان قد وضعه تحت السيطرة ، وكان صوته خفيظا، ولكنه كان يرتعب من الغرباء، وفي اثناء تواجده مع كروبر في الغرفة اقتحم عليهم رجل غريب وامسك بيد آشي وصافحه بعنف كنوع من حسن الاستقبال وعندما انتهى وقف آشي وذراعه متجمدة في هواء الغرفة لعدة ثواني، وعلت وجهه حمرة شديدة مع شئ من الألم كان يعتصره، وعلت وجهه سحابة من الحزن، ظل محمرا حتى بعد ان شعر بالطمأنينة، وحاول تغطية خجله واحمراره بابتسامة او ضحكة قصيرة ترافقت مع وضع أصابع يده على فمه، وفي ذلك كان يبدو محرجا.

الرجل الممزق A man apart

ابعد من الخجل والخوف كان آشي Ishi يدرك انه وحيد، وحيد ليس لانه اخر رجل من جنسه، وليس لانه لم يكن ودودا او لانه انطوائيا introverted او شخصية بغیضة misanthropic ولانه ليس كذلك، كان يجلس دون ان يتمكن منه الضجر. كان حاملا، ينسحب أحيانا ليتأمل داخله الصوفي، ولكن ذلك فقط عندما لا يكون هناك شيء يشغله او شخص يتحدث اليه او يعمل معه، كان يفضل الرفقة وكان يبتسم على الدوام، ابتسامته تلوح أولا في عينيه ثم تسافر من عينيه الى فمه، كان شديد الاهتمام والشغف، وكان مسليا او فرحا مع كل شخص يعرفه ويفهمه كما تقتضي الحالة. وحدته ليست مزاجية ولكنها مجازفة ثقافية. الدليل المبكر لعقليته الراقية هو وعيه بذلك، كان يرى نفسه مختلفا كليا، مميزا كليا، وفي الوقت نفسه يعطي الآخرين انطباعا انه "واحد منهم"، ولا يرى انا "نحن" وانتم "انتم" والذي هو جزء من الطبيعة الحتمية للأشياء. كان يثير لدى أصدقائه التعاطف ثم الاحترام، كان شديد المخاوف وجبان في البداية ولكنه لم يكن مغيبا unobservant على الإطلاق، ولم يستطع الخوف ان يشل تفكيره، كان يواجه التفاوت disparity في المضامين بين ثقافة الياهي Yahi وثقافة الرجل الأبيض. والمعرفة التي لم يكتسبها بعد كان يحتويها ويتماشي معها، لم يكن يحاول ولكنه يتبنى بنية حسنة وتهذيب ملابس مضيفه وفي استقباله وتوديعه، وفي استخدام الشوكة والسكين وأشياء أخرى تقليدية في الاتكيت البسيط.

كان يذكر نفسه دائما انه ذو نسب ياهي اصيل، لم يغفل ابدا الشفرة code التي علمتها له امه او خاله. ربما كان من باب الحسد ان تقوده الوحدة والعزلة الى الاكتئاب، ولكن شيئا من ذلك

لم يحدث. آشي Ishi لم ترحلحه تأثيرات الثقافة الجديدة فقد حافظ على معنوياته عالية خلال فترة الحزن والازنواء، وتحت الحياء والتحفظ ظل يمتلك طبيعته ومزاجه ونقائه كشخص اجتماعي على درجة من الاهتمام بالناس والظواهر، وكان قادرا يوما بعد يوم على المحافظة على عفويته، واصبح بيت المتحف بيته هو.

احترامه لنفسه، وفخره منعاه بلا شك من اكتساب سريع وسهل لنظام الثقافة الإنكليزية، لقد بدا مضطرا لاستخدام كلمات او عبارات حتى يكون متأكدا جدا من انها لازمة لإقامة علاقة صداقة مع الناس الذين يعرفهم معرفة بسيطة، ولكن هذه السمات الشخصية لم تمنعه جديا من الناس والنشاطات التي يعطيها قيمة، ولكنها كانت ستثبط عزيمته أي شخص ابيض لو كان مكانه ولديه تصور عن تفوق الانسان المتحضر على الانسان البدائي، او المواطن من الدرجة الأولى ومواطن من الدرجة الثانية. عدد من الناس بعد حين بدأوا يضحكون مع آشي Ishi ولكن ليس على طريقة مهرج الملك king jester، ولم يقلح احدا على الإطلاق ان يضحك منه.

الحشود والجبال Crowds & Mountains

الرجل الأبيض، حتى أيام قليلة من معي آشي Ishi الى المتحف، كان بالنسبة له بمثابة إشارة للخطر المميت، لقد اصبح لطيفا في تعامله مع أصدقائه في المتحف، واخفى مخاوفه منهم على احسن ما امكنه، ولكن عندما يتجمع حوله اكثر من نصف دزينة من الناس كان ذلك كفيلا بان يجعل اوصاله تتصلب، وعند اول لقاء قريب مع مجموعة مؤلفة من 80 او 100 شخص كان يعتريه نوع من الشلل في قواه. مع الوقت صار يدرك ان الحشود في جوهرها لا تبعث على التهديد. مخاوفه المبكرة تراجعت ولكن كراهته الحشود (حيث تضع هوية الفرد او يفقد الفرد وجهه فيها) لم تخفت، ما احب الغرياء ابدا خاصة الذين يقتربون منه كثيرا او الذين يلمسونه، وتعلم ان يتحمل أعباء المصافحة التي يقوم بها الرجل الأبيض للتعبير عن الود والصداقة، وتعبير عن الشكر لليد المدودة من باب الكياسة. ولكنه لم يبادر ابدا بمد يده للمصافحة.

لا حلم ولا كابوس مزعج بالنسبة ل Ishi مثل حشود المدينة التي تبعث على الصخب Clamor، تزامح سريع بلا نهاية، مرور بلا نهاية لوجوه تحل محل وجوه من نفس النوع مثل تراكض اسماك السلمون في الربيع، سمكة تقفز او تسبق أخرى. لم يكن يحب رائحة العرق المنبعثة من الناس وهم يتدفقون بأعداد كبيرة، انها توحى له برائحة الغزلان القديمة التي اختفت عن حواسه منذ زمن طويل.

في مساء يوم أحد اخذ Ishi في نزهة بسيارة عبر حديقة البوابة الذهبية Golden Gate Park وساحل المحيط. البحر كان مجرد صورة ذهنية في خياله، كان قد سمع عنه شأنه شأن كل الهنود الذين يعيشون في الداخل، ولم يكن راه أبدا من قبل، وربما كان يراه كاسطوره او حكاية، ولذلك كان Ishi ينتظر رؤيته بشغف، ولكن عندما توقفت السيارة عند المرتفع الذي يطل على المحيط من اجل وضعه امام صورة أوسع لرؤية المحيط، وרגوة الأمواج والساحل الممتد بعيدا. عندما راه توقفت انفاسه ليس لسعة محيط الباسفيك ولا لتلاطم أمواجه ولكن بسبب الاف الناس الذين كانوا يغطون الساحل، ويتدافعون مع الأمواج كما يحدث دائما في مساءات الأحد في شهر سبتمبر الدافئ استثناء، قال بصوت خفيض مرة وأخرى كمن يحدث نفسه همسا Hansi saltu..... Hansi saltu أي عدد كبير من الجنس الأبيض ... عدد كبير من الجنس الأبيض، لم يكن يتخيل هذا العدد الهائل من الناس يقطنون الأرض بهذا الحجم وهذه الكثافة في وقت واحد. صدمة وجود هذا العدد الهائل من الجنس الأبيض طمس كل تأثير كان يمكن للبحر ان يحدثه لرجل لم يره من قبل، كروبرظن انه يستطيع ان يصرف انتباهه عن الناس الى البنائيات العالية التي هي الأخرى أعجوبة بالنسبة له، وهي اقل إزعاجا، نظر اليها بتقدير ولكن من دون ان تترك فيه أثرا، ومنذ ذلك الحين وبما لا يشبه سذاجته في تقدير السكان، كانت لديه "قصبة" استخدمها كوسيلة قياس ملائمة لارتفاع البنائيات، وكأنه مازال يعيش حتى اللحظة في ظل تلال واكانوبا Waganupa (التي تعتبر مركز العالم بالنسبة لسكان شعب Yahi) وفي صورة جبل شاستا Shasta ، وبين الحوائط الشفافة لخليج وادي الغزلان Deer Creek Canyon، وبالمقارنة بدت البنائيات العمودية العالية للمدينة تافهة لا تستحق التعليق عليها.

طقوس الاحترام Rituals of Respect

Ishi لم يقم بمغامرة خارج مرتفعات بارناسوس (وهي موقع المتحف) بمفرده، حتى كان ذات مرة في المدينة، ذهب لاماكن متعددة مع شخص واحد وربما شخص اخر هذا الامتداد كان يوم وصوله، اخذه الانثروبولوجي ووترمان عبر الخليج باتجاه باركلي حيث يوجد مجمع الجامعة وتناول غدائه مع ووترمان وزوجته وطفليه، كان اول غداء له على طاولة رجل ابيض وفي بيت رجل ابيض. لقد ذهب عدة مرات هناك فيما بعد. في زيارته الأولى ذكر ووترمان ان آشي Ishi كان يراقب مضيفته عن كثب، يقلدها في اختيار الملاحق والسكاكين، وطريقة استخدامها المناديل الورقية، وكمية الطعام التي تضعها في صحنها، وكان يقلد حركاتها تقليدا عفويا، وكل من يعرف هنود كاليفورنيا وصحبه ضيف منهم يعرف تماما ان هذه هي طريقتهم. العادات تختلف من قبيلة الى أخرى لكن عادات الطعام الصارمة تراقب عن كثب وهي عادة متمائلة لدى جميع القبائل الهندية. التحول الى طعام جديد بطريقة تناول مختلفة

تراقب وتقلد ببراعة عندما تكون عادة الجلوس على المائدة غير متأصلة. لبس اوخلع بدلة او معطف تبدو له للمرة الأولى غير عملية، اما ربطة العنق فيكفي ان تصفها له مرة واحدة لكي يقوم بربطها بنفسه، حيث انه كان يعرف كيف يربط حبال القنب والجلود. كان يحب الجيوب، حيث تجدها بعد ثلاثة أيام ممثلة بمقتنيات رجالية، ومع الملابس ذهب الشفرة التي اعتادها في قبيلته، ولذلك يبدو مع العري طبيعيا وفي حالة فريدة. ولكنه كان يرفض ان يأخذ صورة شخصية بدون ان يكون مرتديا ملابسه، تصويره عاريا كما في الاصل لا يمكن الحصول عليها الا عند عودته الى سفح الجبل.

استعمالات الأرقام The Use of Numbers

لأنه وضع في المتحف ويقوم ببعض الأعمال قررت الجامعة منحه راتباً شهرياً قدره \$25، وقد اعتبره كروبر لقاء دماثة الخلق Willing Gentleness الطبيعية التي يتمتع بها، وقد أبدى آشي شكره وامتنانه لفرصة العمل هذه، بعد ان لاحظ ان كل واحد في عالم الرجل الأبيض يمتلك عملاً يتقاضى عليه اجراً. لقد كان سعيداً بحصوله على الراتب الذي سمح له بشراء طعامه ولباسه بدل ان يعيش على هبات الآخرين، لقد كان رجلاً فخوراً باستقلاليته الاقتصادية التي كانت تعني له الكثير. آشي Ishi الان لديه اسم وعنوان ومكانة اقتصادية، تعلم ان يكتب اسمه، لهذا صار بمقدوره ان يوقع ويصرف الورقة البنكية التي فيها راتبه. عرض كروبر عليه ان يحفظ نقوده في خزانة من خزانات المكتب داخل المتحف فيما عدا مبلغ صغير يبقى معه، وعلمه كيف تعمل الخزنة وان احدا غيره او القيم عليه لا يستطيع ان يفتح الخزنة، كان آشي يقوم في بعض الأحيان بعمل مخبأ لأشياءه الثمينة كالاكل والسهم والأدوات، كان يدفنها تحت كومة من الأحجار او يعلقها في اعلى الأشجار، ثم صار سعيداً في معرفته بمخايب الرجل الأبيض، وفي استخدام هذه المخايب لوضع نقوده فيها. صار يرى نقوده وهي مرزومة وموضوعة في الخزنة واسمه مكتوب على الرزمة من الخارج. كان يقوم بتدوير قرص الخزنة أحياناً ليفتحها فيرى انها لا تفتح، لقد بدا مقتنعاً تماماً بسلامتها. كنزه الان مخبأ بأحكام وبمقدوره ان يذهب اليه متى شاء.

كل اللهجات الأربعة لقبائل اليانا Yana يستعملون نظام العد الفردي، مع اسماء متشابهة للأرقام. باكراً في العمل مع آشي سأله كروبر ووترمان ان يحسب لهم في لغة Yahi وقد فعل برغبته:

Baiyu, uhmisti, bulmistisi, dammi, djiman, baimami, ulmami, bulmami, daumima, hadjad.

نفس الكلمات في لهجات اليانا الأخرى فيما عدا تغيير طفيف في الحروف الساكنة، ولكن بما لا يشبه الآخرين الذين يستمرون في العد من العشرة الى أرقام أعلى توقف أشي عند الرقم عشرة، وعندما سئل ان يستمر قال: لا أكثر... هذا كل شيء. وهنا يبدو ان الثقافة تفتقد ذلك ليس قبل المواجهة في كاليفورنيا على الأقل، فقد ذكر اثنان من الاثنوغرافيين ذلك في محاضرة مطبوعة ومسموعة، وفسروها منطقيا على انها تعود الى عقود الهلاك والاختفاء وربما للحياة الهزيلة الضنكة التي عاشوها في هذه الفترة، مما جعل سكان هذه القبائل في مناسبات قليلة يحسبون او يفكرون بأعداد أكبر من عشرة. من اجل جعلها سهلة قدر الإمكان لأشي ليتألف مع نظام الأرقام الجديدة المعقدة، ولكي يتعلم التغيير (تغيير العملة)، تم تصريف مرتبه كله على هيئة نصف دولار (بدل الدولار والخمسة والعشرة...) فالقطع الفضية المتشابهة جعلته مرتاحا، وسرعان ما اكتشف ان اللعب الصغيرة الفارغة لأفلام الكاميرا مناسبة جدا لوضع قطع نقوده المعدنية فيها. أربعين نصف دولار ملأت اللعبة، وعندما وجد ان اللعبة لم تعد تستوعب اكثر كان يغلق اللعبة بغطائها بأحكام ويودعها مع كنز الرجل الأبيض في خزانة الرجل الأبيض. كانت هناك علبا أخرى فارغة كان أشي يلتقطها ثم يملأها ليودعها واحدة مع الأخرى، ذلك انه كان يدخر نصف راتبه تقريبا. في بعض الأحيان عندما يكون الجو غائما او مضطربا، او بعد انتهاء عمله، كان أشي يأتي لمكتب كروبر ويسأل ان كان بمقدوره ان يرى نقوده، وبعد ان تعطى له يفتح اللعب وينشرها على المنضدة كأنه ملك في غرفة عد النقود. في واحدة من أيام عد النقود كان كوبر من مكتبه بنفس الغرفة يراقبه خلسة وهو ينشر نقوده على المنضدة مزهوا ويضعهن حزمة فوق حزمة، ثم يقوم بتقسيم محتويات اللعبة الى نصفين متظاهرا انه يقوم بعدادها، قام كروبر وجلس الى جانبه على المنضدة وسأله : كم لديك من النقود؟ مشيرا الى رزمة من الرزم، أشي اجاب على الفور وبشكل صحيح damunistsa أربعون، وكم هو نصف الرزمة؟ قال أشي unsiwai عشرون، ثلاثة أرباع الرزمة baimamikab ستون، وكم هو مجموع الرزمتين؟ قال bulmamikab أي ثمانون، الأسئلة والاجوبة استمرت، وكان من الواضح ان تلفظ الأرقام ومعرفة الحساب بنظام لغة اليانا لم ينقص لديه.

نظام الحساب لدى اليانا نظام خماسي Quinary بمعنى ان هناك اسماء أرقام أساسية لحد الرقم خمسة، ومن خمسة الى عشرة هناك اضافات لها، وهناك إضافات أخرى من عشرة الى عشرين، وعندما يصل العدد الى عشرين تصبح هناك وحدة جديدة مثل 100 لدينا، العشرات والعشرينات لا تبنى على اسماء أرقام اصغر. لماذا اذن قال أشي "لا أكثر" عندما وصل في العد الى الرقم عشرة. العدد المجرد لم يألّفه على ما يبدو، ربما وجدها مرهقة، او عديمة الجدوى، الحساب هو حساب شيء ملموس مثل حبات المسبحة، او النقود او السهام، او عدد طيور الأوز وهي في حالة طيران، او اسماك السلمون

التي اصطادها، الأرقام المجردة لا تثير اهتمامه. مثلما لا تهتم فلسفة اليانا بالأرقام كان مستجوبي Ishi يعرفون ذلك ويعرفون ان الاستبيان الذي يهدف للحصول على معلومات، من المتوقع ان يمتلئ بمعلومات مضللة متى كانت الافتراضات التي بني عليها الاستبيان من مصدر غير معروف او بلا معنى بالنسبة للشخص الذي يسؤل. انهم يعتقدون ان المعلومات ربما تستخدم ضدهم وسيكون الشك واضحا على رجل متوحش بينما ينشغل في عد نقوده على طريقة امين صندوق في بنك، انها عملية اذلال، لهذا خطوة بعد خطوة بدأ أشي يتغلغل في براري المدنية فيما كان أصدقائه يلمسون بعض التقدم في عالم الياهي Yahi

موت أشي Ishii's Death

للبقاء في مدينتنا التطعيم المبكر والمستمر يعد ضروريا، أشي لم يحصل على التطعيم المبكر فمات بالسل tuberculosis في عام 1916 وهنا يقول القانون ان من يموت بلا وصية intestate ولا أقارب دم، فان المال الذي يتركه والممتلكات التي كانت له في حياته ستذهب للدولة، وكان المدير المخول لنقل هذه الممتلكات يمتلك سلطة تقديرية، وكان من صلاحياته ان يترك عدة أشياء شخصية للمتوفي، وقد فعلها وترك عدة أشياء تعود لأشي تركها للمتحف، وكان هناك كنز أشي في خزانة المكتب، وبعد احصائه وجد انه يمتلك 520 نصف دولار، اخذ نصفها للدولة اما النصف الاخر فقد كان ووترمان يعرف رغبة أشي اين تذهب، كان يعرف انه يريد ان تذهب الى بيت Kuwi، لهذا فان دكتور موفيت Moffit عميد كلية الطب استلم مبلغ 260 نصف دولار مع مظروف أنيق فيه ملاحظة من ووترمان تقول:

هذه الهدية من أشي انها نقود حقيقية وأرجو قبولها، بدون أي مقابل من كلية الطب او المستشفى المتبرعها أشي، انها ربما تكون بمثابة ادراك لالتزام اخلاقي.

دكتور موفيت قبل الهدية شاكرًا مستر ووترمان، وأوضح له انه سيضع نقود أشي في صندوق خاص، ولن يضيفها كمدفوعات لنفقات المستشفى، اعترافًا بان المستشفى لم يقدم له أي علاج يستحق عليه هذه المبالغ، وفي ذلك فان كنز أشي سيستمر مساهما بقدرما في علم العلاج، العلم الذي كان موضع اهتمام أشي العظيم.

الإنسانية المشتركة A common Humanity

قرن مضى منذ ان ولد آشي، ومازال مستمرا في ايقاد الخيال، لقد كان فريدا، كان الرجل الاخير، الرجل الاخير في عالمه، خبرته المفاجئة، وحدانيته وتحوله اللطيف من العصر الحجري الى القرن العشرين كان فريدا أيضا، والأكثر انه تأكيد للعقيدة الانثروبولوجية في ان الانسان الحديث، انسان الثدييات العليا homo sapiens سواء كان امريكيًا، هنديًا احمر، او اغريقيًا من أيام أثينا بريكلينس، انهم جميعا بشر في تركيبهم البيولوجي، وفي درجة استيعابهم لتعلم مهارات وطرق جديدة عندما يتعرضون لبيئة متغيرة، في قدرتهم على التفكير المجرد وفي معنوياتهم وأخلاقهم، على أساس هذه القاعدة العريضة لإنسانية الانسان فان العلماء يفترضون مزيدا من التقدم بعيدا عن الغرائبية والترانبية والبدائية واشباه البشري في طبيعتنا.

أضواء على السيرة الذاتية كمنهج وطريقة بحث

في البدء يجب ان نعترف ان كروبر كان عالما في الانثروبولوجيا قبل ان يكون متخصصا في ثقافة الهنود الحمر، ويبدو انه كان الى جانب علمه أدبيا من طراز كبار الأدباء من خلال لغته الساحرة التي كتب فيها كتابه عن اخر رجل بري من شعب اليانا الذي تعرض للفتنة على يد الرجل الأبيض. هذا الكتاب كان أشبه بركلة عنيفة على خاصرة ثقافة الرجل الأبيض الذي ربح الأرض وخسر الضمير، عندما قال ان شعب كامل تعرض للابادة حتى لم يبق منه بحلول القرن العشرين الا رجل واحد. كان كانه يبعد نفسه عرقيا وأخلاقيا وفلسفيا عن الجريمة وأصحاب الجريمة، ولو انه كان منهم وياكل طعامهم ويصلي بصلواتهم ويلبس مثلما يلبسون. هذا الإحياء استنتاج من طريقة احتوائه اخر رجل من سكان أمريكا الاصليين، وحمانيته وتعاطفه الذي حمله على دفع الجامعة لتخصيص راتب يحفظ كرامة اخر رجل في عالمه، ولكن مهما كانت الدوافع فان موقفه كان موقفا أخلاقيا متقدما قرن بكامله عن نظرائه في ثقافة الرجل الأبيض، بيد ان احدا لا يستطيع ان يقطع براء ان كروبر نفسه لم تتلخ عن نظرائه في ثقافة الرجل الأبيض، بيد ان احدا لا يستطيع ان يقطع براء ان كروبر نفسه لم تتلخ يداه بدماء شعب تعرض للفتنة بيد ابناء جنسه، فلربما كانت ابحاثه ودراساته المعقدة قد أسهمت بشكل غير مباشر في ذبح الجنس البشري. الدرس الذي تعلمنا عن الانثروبولوجيا انها كانت احدى مفاتيح هيمنة ثقافة الرجل الأبيض على الأجناس الأخرى ليس في أمريكا وحدها بل على طول كوكب الأرض وعرضه.

إذا تركنا الأحكام جانبا، وأخذنا موقف كروبر بحسن نية على انه عالم أجناس كان همه الاول دراسة الانسان وثقافة الانسان من اجل المعرفة لذاتها فبالإمكان ان نسجل الملاحظات التالية:

الملاحظة الأولى: انه احدث خرقا في المؤلف على الأقل في مجال المنهج وبالتحديد منهج السيرة الذاتية التي كنا ومازالنا نقرأ عنها في كتب طرق البحث الاجتماعي من دون ان تجد طريقها للاستخدام في دراستنا وابعائنا، صحيح ان كروبر لم يكن الاول فقد سبقه فولتير وهيوم وآخرين في دراسة حالات فردية حدثت في التاريخ، الا ان طريقة كروبر كانت فريدة في :

أ. دقة الملاحظة

1. الاهتمام بالتفاصيل الدقيقة لعادات الرجل في مأكله وملبسه وطريقة حياته وقدرته على التكيف وتفكيره واهتماماته، التي لم تكن ذات أهمية لذاتها وانما لأنها كانت تعكس ثقافة مجتمع بكامله
2. الرجل الفرد يعكس في سلوكه ثقافة المجتمع كاملة، مع استثناء ان الفرد قد يختلف نسبيا في بعض عادات السلوك الشخصية جدا مثل حركات اليد والابتسامة ورد الفعل على الأهانة او الترحيب، او كان يكون الشخص بخيلا او كريما، متسامحا او عنيفا.
3. الاهتمام بالسلوك اللغوي المباشر الذي ربما ينطوي على تمويه او misleading ومراقبة السلوك الرمزي غير اللغوي الذي يعتبر استجابة طبيعية لسلوك الفرد ومن وراء فهم الثقافة في جوانب مهمة يصعب فهمها عن طريق اللغة وحدها او المقابلة

ب. الاحترافية Professionalism

التي يتمتع بها الباحث الانثروبولوجي او السوسيولوجي والتي يتعين ان تكون حيادية، أي التخلي عن الميول الشخصية في الحب والكراهية والتي غالبا تقود الى الانحياز، ولكن ذلك لا يمنع من إقامة علاقة تعاطف ودية عميقة كما فعل كروبر من اجل كشف جوانب من الثقافة لا يمكن كشفها مع العلاقة الرسمية او شبه الرسمية، وفي ذلك اقام كروبر علاقة صداقة مع أشي منذ اليوم الاول لوصوله.

ت. العفوية والحس الانساني العالي

الذي يتسامى على المسميات الصغيرة كالعمر والجنس والانتماء الاثني او الديني او الطائفي لأننا كما يقول هوفستيد نمتلك نفس الخصائص العقلية software of the mind والفارق فقط هو الفرصة التي يمكن ان يحصل عليها أي منا في التعلم .

والحق ان عفوية كروبر كانت لوحدها من اكبر عوامل التأثير على المبحوث لاستسمالته وتفاعله الإيجابي أخيرا تبقى دراسة من هذا النوع محفزا لمنهج منسي من مناهج البحث العلمي، يتعين علينا توجيه طلبة الصفوف المنتهية والدراسات العليا ليس التعرف عليه فقط ولكن العمل به

المراجع:

Resource: Broom L, Selznick Ph, and Broom Darroch D, (1981) Sociology: A Text with Adapted Readings, 7th ed, NY, Harper International Edition. PP. 68-74 Abridged from: Ishi in Two Worlds: A biography of the Last Wild Indian in North America, by T L Kroeber, University of California press 1961